# المحاضرة التاسعة

## حديـث "الإسلام والإيمـان والإحسـان"

**أولا: نص الحديث:** عن يحي بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم – وذكر من شأنهم – وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني أبي عمر بن الخطاب **قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان. قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ». قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». قال فأخبرني عن الساعة. قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ». قال فأخبرني عن أمارتها. قال « أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ». قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال « يا عمر أتدرى من السائل ». قلت الله ورسوله أعلم. قال « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** .

**ثانيا: تخريج الحديث:**

– رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، برقم: ١٠٢ عن عمر ﷺ، وباب: الإسلام ما هو وبيان خصاله برقم: ١٠٨ عن أبي هريرة ﷺ .

– رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، رقم: ٥٠، وكتاب التفسير (سورة لقمان)، باب قَوْلِهِ " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ"، رقم: ٤٧٧٧، في الموضعين عن أبي هريرة ﷺ .

– **و أبو داود** ، في كتاب: السنة، باب فِي الْقَدَرِ، رقم: ٤٦٩٧، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ .

– **و الترمذي**، في كتاب: الإيمان، باب: مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الإِيمَانَ وَالإِسْلاَمَ، رقم: ٢٨١٥ . عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ ﷺ .

– **والنسائي**، في كتاب الإيمان وشرائعه، باب نَعْتِ الإِسْلاَمِ، رقم: ٥٠٠٧ . عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ.

– **و ابن ماجه**: في المقدمة، باب في الإيمان، رقم: ٦٦ . عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ .

– وأحمد في مسند عمر بن الخطاب ﷺ، برقم: ٣٧٤ .

. وقد رواه أيضاً عن رسول الله ﷺ غير عمر وأبي هريرة من الصحابة، فرواه **أبو ذر** ﷺ عند أبي داود والنسائي، **وابن عمر** ﷺ عند أحمد والطبراني وأبي نعيم، و**أنس** ﷺ عند البخاري في خلق أفعال العباد والبزار، وقال: "وإسناده حسن"، **وجرير بن عبد الله البجلي** ﷺ عند أبي عوانة، **وابن عباس وأبو عامر الأشعري** ﷺ**ما** عند أحمد، وقال: "وإسنادهما حسن" [1] .

**ثالثا: ترجمة الرواة:**

١ – عمر بن الخطاب ﷺ: سبقت ترجمته في الحديث السابق .

٢ – أبو هريرة ﷺ : اختلف في اسمه كثيرا؛ قال: كَانَ اسْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْد شَمْسٍ فَسُمِّيتُ فِي الإِسْلاَمِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَإِنَّمَا كُنِّيتُ بِأَبِي هُرَيْرَةَ، لأَنِّي وَجَدْتُ هِرَّةً فَجَعَلْتُهَا فِي كُمِّي، فَرَآنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: مَا هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: هِرَّةٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . أسلم عام خيبر وشهدها مَعَ رسول الله ﷺ ثم لزمه رغبة فِي العلم راضيًا بشبع بطنه، وَكَانَ من أحفظ الصحابة لأنه كان يحضر ما لا يحضره غيره لانشغالهم حوائجهم، حتى شهد له رَسُول اللَّهِ ﷺ بأنه حريص عَلَى العلم والحديث، وَقَالَ له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إني قد سمعت منك حديثًا كثيرًا وأنا أخشى أن أنسى فَقَالَ: "ابسط رداءك". قال: فبسطته، فغرف بيده فيه، ثم قَالَ: "ضمه" فضممته، فما نسيت شَيْئًا بعده. قَالَ البخاري: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ، استعمله عُمَر بْن

[1] فتح الباري، لابن حجر (١/ ١١٥-١١٦) .

الْخَطَّابِ عَلَى البحرين ثم عزله، ثم أراده عَلَى العمل فأبى، سكن المدينة حتى توفي بِالْعَقِيقِ، سنة: سَبْعٍ أو ثَمَانٍ أو تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وله ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ[٢] .

– **ترجمة أبي زرعة**: هو هرم أبو زرعة بن عمرو بن جرير من أهل الكوفة ، ثقة من الثالثة، **روى عن** أبي هريرة وأبي موسى، و**روى عنه** عمارة بن القعقاع وإبراهيم النخعي[٣] .

**رابعا: منزلة الحديث عند العلماء**

١- قال القاضي عياض :" وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعةٌ إليه، ومتشعبة منه"[٤] .

٢ – وقال ابن رجب:" حديث عظيم جدا، يشتمل على شرح الدين كله، ولهذا قال النبي ﷺ في آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، فجعل ذلك كله دينا" [٥] .

٣ – قال ابن دقيق :"فهو كالأم للسنة كما سميت الفاتحة: أم القرآن لما تضمنته من جمعها معاني القرآن" [٦] .

**خامسا: غريب الحديث:**

– **{الأَمَارَة}** : الوَقْتُ والْعَلامَة الَّتِي يعرف بهَا الشَّيْء، وَفِيه لُغَتَانِ: الأمار والأمارة[٧] .

– **{الأَمَةُ}** المِمْلُوكَةُ [٨] .

– **{ربتها}**: الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا. وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْر مُطْلَقًا عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَ بالكَثِير، **وأَرَادَ بِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ**: المَوْلَى والسّيّد[٩] .

---

[٢] ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٤/١٧٦٨- ١٧٧١) ، وأسد الغابة، لابن الأثير (٥/ ٣١٨-٣٢١) .

[٣] ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٨/ ٢٤٣)، وتهذيب الكمال، للمزي (٣٣/ ٣٢٤)، والثقات، لابن حبان (٥/ ٥١٣)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (١٢/ ٨٩) .

[٤] إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (١/ ٢٠٤) .

[٥] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٩٧) .

[٦] شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٢٩) .

[٧] غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٦٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (١/ ٦٧) .

[٨] القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الواو والياء، فصل الهمزة (ص: ١٦٢٧) .

– **{العَالة}** : جمع عائل وهو الفقير[١٠] .

– **{رعاء}** : الرِّعَاءُ بِالْكَسْرِ والمدِّ جمعُ رَاعِي الغَنَم، وَقَدْ يُجمعُ عَلَى رُعَاةٍ بِالضَّمِّ[١١] .

– **{مليّا}** : المليُّ الزَّمن الطّويل. وأقامَ مليًّا، أي: دهراً طويلاً. ويقال مضى ملي من النهار أو الليل ما بين أوله إلى ثلثه أو قطعة منه لا تحد [١٢] .

**سادسا: شرح الحديث:**

**قوله عمر** ﷺ **(إذ طلع علينا)**؛ أي: ظهر لنا **(رجلٌ)** هو جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ في صورة رجل لا يعرفونه، وكان في الغالب يأتيه في صورة الصحابي دحية الكلبي ﷺ ، وكان أجمل أهل زمانه، وأحسنهم صورة . **(شديد سواد الشعر)** أي: شعر اللحية، كما وقع في رواية لابن حبان" شَدِيد سَواد اللِّحْيَة"[١٣]. **(لا يرى)** هو بضم الياء وهو أبلغ من نرى **(لا يرى عليه أثر السفر)** لأن المسافر –لا سيما في ذلك الوقت– يكون أشعث أغبر؛ لأنهم يمشون على الإبل، أو على الأقدام، والأرض كلها غبار، لكن هذا لا يري عليه أثر السفر . **(ولا يعرفه منا أحدٌ)**؛ أي: معشر الصحابة [١٤] .

**(فأسند)**؛ أي: ألصق **(ركبتيه إلى ركبتيه)** تقتضي أنه جلس بين يدي النبي ﷺ، وهذا جلوس المتعلمين بين يدي المشايخ للتعلم .**(ووضع كفيه على فخذيه)**؛ الضمير في كفيه للرجل، وفي فخذيه؛ يحتمل: أنه وضع كفيه على فخذي نفسه، ويحتمل: أنه للنبي ﷺ وأن الرجل وضع كفيه على فخذي النبي ﷺ استئناسًا باعتبار ما بينهما من الأنس في الأصل حين يأتيه جبريل عليه السلام لتبليغ الوحي، وهذا الاحتمال أرجح . **(وقال: يا مُحَمَّد)** ولم يقل: يا رسول الله أخبرني، كصنيع أهل البادية الأعراب؛ لأن الأعراب إذا جاؤوا إلى النبي ﷺ يقولون: يا مُحَمَّد، أما الذين سمعوا أدب الله عز وجل لهم فإنهم يقولون: يا رسول الله، لأن الله تعالى قال في كتابه ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًا﴾ النور: ٦ ، وفي رواية " يا رسول الله ".

---

[٩] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ١٧٩) .

[١٠] الفائق في غريب الحديث و الأثر، للزمخشري (٢/ ٢٤٤) .

[١١] النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/ ٢٣٥) .

[١٢] ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب الميم، (باب الميم وما بعدها في المضاعف والمطابق) مادة (ملي) (٥/ ٣٤٦) ، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الميم (٢/ ٨٨٧) .

[١٣] صحيح ابن حبان (١/ ٣٩٠) .

[١٤] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (١/ ٣٤٥) .

**قول جبريل** عليه السلام **( أخبرني عن الإسلام)**؛ وهو سؤال مجمل، يحتمل أن يكون عن حقيقة الإسلام، وعن شروطه، وعن أركانه، وعن زمانه ومكانه، وغير ذلك من لواحقه[١٥] .

**قوله** ﷺ **(قال الإسلام أن تشهد)**؛ أي: تعلم وتصدق وتسلم وتقر بلسانك **(أن لا إله إلا الله)**؛ أي: لا معبود بحقٍ إلا الله، **(وأن محمدًا رسول الله)** أي: وتشهد بذلك، **(وتقيم الصلاة)**؛ أي: تأتي بها بأركانها وشروطها، وتواظب عليها في أوقاتها، **(وتؤتي الزكاة)** أي: تؤديها على وجهها الشرعي؛ **(وتصوم رمضان)**، والصوم لغة: الإمساك والكف عن الشيء، كقوله تعالى﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم: ٢٦ ؛ أي صمتًا . والمعنى: أن تمتنع عن جميع المفطرات في أيامه، **(وتحج البيت)** أي: تقصد بيت الله الحرام في زمن مخصوص بنية أداء المناسك من طواف وسعي ووقوف بعرفة وغيرها **(إن استطعت إليه سبيلًا)**؛ أي: قدرت على الوصول إليه بدون مشقة عظيمة، مع الأمن على النفس والمال، ووجود مؤن السفر[١٦] .

**(قال)** الرجل **(صدقت)**؛ أي: فيما أجبت به، قال عمر رضي الله عنه **(فعجبنا له)**؛ أي: منه **(يسأله ويصدقه)**، وجه التعجُّب: أنَّ الغالبَ على السائل كونه غير عالِم بالجواب، فهو يسأل ليصل إلى الجواب، لأنَّ السائلَ إذا صدَّق المسئول دلَّ على أنَّ عنده جواباً من قبل، ولهذا تعجَّب الصحابةُ[١٧] .

**قول جبريل** عليه السلام **(فأخبرني عن الإيمان)** والإيمان في اللغة: هو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع، وأما قولهم: الإيمان في اللغة التصديق ففيه نظر، لأنه يقال: آمنت بكذا وصدقت فلاناً ولا يقال: آمنت فلاناً، بل يقال: صدقه، فصدق فعل متعدٍ، و"آمن" فعل لازم، وقد ذكر ذلك ابن تيمية باستفاضة في (كتاب الإيمان) وقد اتفق أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

**قوله** ﷺ **(أن تؤمن بالله)**؛ أي: بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. **(وملائكته)**؛ بدأ بالملائكة قبل الرسل والكتب لأنهم عالم غيبي، والإيمان بهم يتضمّن: الإيمان بأسماء من علمنا أسماءهم، مثل جبريل ومن لم نعلمه نؤمن به إجمالا، وأن نؤمن بما لهم من أعمال كالوحي والقطر والنفخ في الصور، ونؤمن بصفاتهم وأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام وله ستمائة جَناح، قد

---

[١٥] ينظر: التعيين في شرح الأربعين، لنجم الدين الطوفي (١/ ٤٩-٥٠) ، وشرح رياض الصالحين، للعثيمين (١/ ٣٤٧) .

[١٦] مقال بعنوان: شرح حديث مراتب الدين من الأربعين النووية)، لعبد العال بن سعد الرشيدي تاريخ الإضافة ١١/١١/٢٠١٥ :ميلادي ، ١٤٣٧/١/٢٨ هجري نشر في شبكة الألوكة .

[١٧] فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين، لعبد المحسن العباد البدر (ص: ١٦) .

سد الأفق . **(وكتبه)**؛ جمع كتاب بمعنى: مكتوب والمراد بها الكتب التي أنزلها الله عزّ وجل على رسله، ومعنى الإيمان بها: التصديق بأنها كلام الله تعالى، والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور: أولاً: أن نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، ثانياً: أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار. ثالثاً: أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يرد شرعنا بخلافه. رابعاً: أن نؤمن بما علمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى .

**(ورسله)** بأن تصدق بأن الله تعالى أرسلهم إلى الخلق؛ لهدايتهم إلى طريق الحق، وأنهم صادقون في جميع ما جاؤوا به عن الله تعالى، وأنه يجب محبتهم واحترامهم، وألا نفرق بين أحد منهم، ونؤمن إجمالًا بمن لم نعرفه بعينه، وتفصيلًا بمن عرفناه بعينه؛ قال تعالى ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ النساء: ١٦٤ ، وأولهم نوح، وآخرهم مُحَمَّد ﷺ ومنهم الخمسة أولو العزم، مُحَمَّد ونُوح وَإِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ . **(واليوم الآخر)**؛ أي: وأن تؤمن باليوم الآخر؛ لأنه آخر أيام الدنيا، **والمراد به الإيمان بأربعة أمور هي**: أولاً: الإيمان بوقوعه، وأن الله يبعث من في القبور، ثانياً: الإيمان بكل ما ذكره الله في كتابه وما صح عن النبي ﷺ مما يكون في ذلك اليوم الآخر ثالثاً: الإيمان بما ذكر في اليوم الآخر من الحوض والشفاعة والصراط والجنة والنار رابعاً: الإيمان بنعيم القبر وعذابه . **(وتؤمن بالقدر خيره وشره)**؛ والإيمان بالقدر يتضمّن أربعة أمور: الأول: أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، ثانياً: الإيمان بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، ثالثاً: أن تؤمن بأن كل ما حدث في الكون فهو بمشيئة الله تعالى . رابعاً: الخلق، ومعناه: الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء، فنؤمن بعموم خلق الله تعالى لكل شيء للعباد وأعمالهم وأقوالهم [١٨] .

**وقد فرق النبي ﷺ بين الإسلام والإيمان**؛ حيث خص الأول بالأعمال الظاهرة والثاني بالباطنة، ووجه ذلك كما قال ابن رجب :"أن الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي. وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة" [١٩] . **(قال صدقت)**؛ أي: فيما أخبرتني به.

**قول جبريل عليه السلام( فأخبرني عن الإحسان)** أي في العبادة، وهو إتقانها والإخلاص فيها ومراقبة المعبود.

---

[١٨] شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: ٣٤ -٥٣) .

[١٩] جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ١٠٦) .

قوله ﷺ (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، قال الحافظ: وأشار في الجواب إلى حالتين أرفعهما أن يغلب عليه مشاهدة الحق حتى كأنه يراه بعينه وهو قوله "كأنك تراه" أي وهو يراك، والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل، وهو قوله "يراك"، وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته،[٢٠] . مرتبة الطلب مرتبة الهرب

**قول جبريل عليه السلام (فأخبرني عن الساعة)**؛ يعني عن القيامة وزمن وجودها، وسميت ساعة وإن طال زمنها اعتبارا بأول أزمنتها فإنها تقوم بغتة في ساعة، كما قال تعالى ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ محمد: ١٨ .

**قوله ﷺ "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"** أي: كلانا سواء في عدم العلم بزمن وقوعها، قال تعالى ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ﴾ طه: ٥٢ ، وفي الصحيح "مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله" وتلا {إن الله عنده علم الساعة}.

– **وقد قسم العلماء** علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام: قسم: مضى كبعثة مُحَمَّد ﷺ، وقسم: لا يزال يتجدد مثل تناقص العلم وكثرة القراءة والكتاب، وقسم: لا يأتي إلا قرب الساعة تمامًا وهي الأشراط الكبيرة العظمى؛ كنزول عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها[٢١]

**قوله عليه السلام( فأخبرني عن أمارتها)**؛ أي: علاماتها ومقدمتها التي تدل على قربها، قال النبي ﷺ (**أن تَلِدَ الأمَة ربتها**)، قيل: المراد أن يستولي المسلمون على بلاد الكفار، فيكثر الإماء، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين على المشركين، وكثرة الفتوح والتسري. وقيل: معناه: أن تفسد أحوال الناس حتى يبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ترددهن في أيدي المشترين، فربما اشتراها ولدها وهو لا يشعر بذلك، فعلى هذا الذي يكون من أشراط الساعة غلبةُ الجهل بتحريم بيعهن . وقيل: معناه: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أَمَتَه من الإهانة والسب [٢٢] .

**قوله ﷺ (وأن ترى الحفاة)** الحفاة: الذين ليس لهم نعال من الفقر، والعراة: ليس لهم كسوة من الفقر، العالة: الفقراء. يتطاولون في البنيان: يعني أنهم لا يلبثون إلا إن يكونوا أغنياء يتطاولون في البنيان حسا بأن

---

[٢٠] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للمباركفوري (١/ ٤٠) .

[٢١] شرح الأربعين النووية، للعثيمين (ص: ٥٤) .

[٢٢] شرح الأربعين النووية، لابن دقيق العيد (ص: ٣١)

يرفعوا بنيانهم إلى السماء، ويتطاولون فيها معنى أن يحسنوها ويزينوها ويدخلوا عليها كل ما يكون من مكملاتها، لأن لديهم وفرة من المال، وكل هذا وقع[٢٣] .

**وهنا سؤال**: والرسول ﷺ أراد التمثيل، وفي هذا دليل على أن الشيء قد يفسر ببعض أفراده على سبيل التمثيل، وإلا فهناك أشراط أخرى لم يذكرها النبي ﷺ في هذا المقام وذكرها في غيره[٢٤] .

قال عمر ﷺ **(ثم انطلق)**؛ أي: ذهب الرجل السائل **(فلبثتُ)**؛ أي: مكثت لا أدري من الرجل **(مليًّا)**؛ أي: زمنًا طويلًا، وهو ثلاثة أيام، كما في رواية الترمذي وغيره، وفي شرح السنة للبغوي (بعد ثالثة)، وظاهر هذا: أنه بعد ثلاث ليال، وفي ظاهر هذا مخالفة لقوله في حديث أبي هريرة بعد هذا: ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ **(ردُّوا عليَّ الرَّجل)**، فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئًا، فقال النبي ﷺ (هذا جبريل)؛ فيحتمل في الجمع بينهما: أن عمر ﷺ لم يحضر قول النبي ﷺ لهم في الحال، بل كان قد قام من المجلس، فأخبر النبي ﷺ الحاضرين في الحال، وأخبر عمر ﷺ بعد ثلاث؛ إذ لم يكن حاضرًا وقت إخبار الباقين، والله أعلم .

**(ثم قال)** النبي ﷺ **(يا عمر، أتدري)**؛ أي: أتعرف **(من السائل؟)** وتخصيص عمر بالنداء من بين الحاضرين يدل على جلالته ورفعة مقامه عند رسول الله ﷺ . **( قلت)** أي: عمرﷺ **(الله ورسوله أعلم)** ولا يخفى ما في قول عمر من حسن أدب، من جهة تفويض العلم إلى الله ورسوله . **(قال)**؛ أي: النبي ﷺ **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**؛ أي: يبين لكم أمر دينكم بسؤاله [٢٥] .

**سابعا: الفوائد المستنبطة من الحديث:**

١- بدعةَ القول بنفي القَدَر ظهرت بالبصرة في حياة ابن عمرﷺ، وكانت وفاته سنة (٧٣هـ).

٢- رجوع التابعين إلى الصحابة في معرفة حكم ما يشكل عليهم من مسائل في العقائد و غيرها .

٥- على القادم أن يستأذن المجتمعين ويسلم عليهم .

٦- يجب على المسؤول أن يكون متواضعًا .

٧- إذا سئل العالِم عن شيء لا يعلمه فليقل: لا أعلم، وذلك دليل ورَعه وعِلمه.

٨- أن الملائكة قد تتمثل بصورة إنسان .

---

[٢٣] شرح رياض الصالحين، للعثيمين (١/ ٤٨٢) .

[٢٤] شرح حديث جبريل عليه السلام، للعثيمين (ص: ٥٧) .

[٢٥] مقال "شرح حديث مراتب الدين من الأربعين النووية لعبد العال بن سعد الرشيدي .

٩- ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها .

١٠- الدُّنو من العالم لكي يُسمِعه السؤال، ويستمِع إلى الجواب من غير مشقَّة على العالم .

١١- أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج.

١٢- أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله تعالى، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقَدَر خيره وشره، من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، مَن جحَد شيئًا منها فقد ارتدَّ عن الإسلام .

١٣- أهمية الإتقان في العمل والطاعة؛ فقد جعله الرسول ﷺ قَسيم الإسلام والإيمان.

١٤- وقت القيامة استأثَر اللهُ بعِلمه ولم يُطلِع عليها أحدًا من خلْقه،بل أخبرنا بعلاماتها فقط .

١٥- حُسْن أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ برد العلم إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وعدم المبادرة بالإجابة، ولا ينبغي للطالب أن يُبادِر بالجواب بين يدَي معلِّمه؛ اقتداءً بصحابة رسول الله ﷺ .

١٦- استحباب جلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا إذا احتاج لذلك لضرورة تعليم ونحوه .

١٧- ينبغي للإمام ونوابه، وكذا العالم أن يبرزوا بعض الأوقات للناس لقضاء حوائجهم والنظر في مصالحهم؛ وفي بعض روايات هذا الحديث "كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس"، قال الحافظ ابن حجر: أي ظاهرا لهم غير محتجب عنهم ولا ملتبس بغيره .

١٨- فيه جواز رواية الحديث بالمعنى، ففي بعض الروايات " يا مُحَمَّد" وفي غيرها " يا رسول الله " وفي أخرى " يا نبي الله "...لكن ذلك مقيد بشروط، أهمّها: أن يكون الراوي عالما بمدلولات الألفاظ، أن لا يكون الحديث مما يتعبد بلفظه كالأدعية والأذكار، وأن لا يكون من جوامع الكلم .

١٩- وفي مبالغة جبريل عليه السلام في تعمية أمره، حيث ظهر بمظهر الأعراب الجفاة، ونادى النبيّ ﷺ باسمه من طرف البساط، وتخطى الرقاب حتى جلس بين يدي النبيّ ﷺ دليل على لزوم الأخذ بالوسائل من أجل تحقيق المقاصد؛ إذ لو عَلِمَ الصحابة حقيقته، لربما انشغلوا به عن الفائدة التي جاء من أجلها .

٢٠- احتجاج الصحابة بالسنة الصحيحة في بيان العقائد ولو كانت آحادا، حيث استدل عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو من علماء الصحابة وفقهائهم بهذا الحديث في الرد على القَدَرية، وفيه قبول خبر الواحد لأن الذي أجاب يحي بن يعمر وصاحبه واحد وهو ابن عمر رضي الله عنه [٢٦] .

---

[٢٦] ينظر: دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، لابن علان الصديقي (١/٢١٦) . وشرح حديث جبريل في تعليم الدين، لعبد المحسن بن حمد العباد البدر (ص: ٩) ، و مقال منشور في ملتقى أهل الحديث لأبي زكريا يوسف بن عاطي الجزائري .